(١)

حب الله ورسوله بين الحقيقة والادعاء

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم :{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، القائل في كتابه العزيز واصفًا الْكُمَّلَ من عباده: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، كان على منبره يوم جمعة، فسأله رجل قائلًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ فَأَشَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ أَنِ اسْكُتْ، فرددها ثَلَاثَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عِنْدَ الثَّالِثَةِ: (وَيْحَكَ مَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟) ، قَالَ: حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: (إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن محبة الله (عز وجل) ، ومحبة رسوله (صلى الله عليه وسلم) أصل عظيم من أصول الإيمان ، ومقام رفيع من أجَلِّ مقامات العبودية ؛ لذا فقد أجمعت الأمة على أن حب الله (عز وجل) ، وحب رسوله (صلى الله عليه وسلم) فرض على كل مسلم ومسلمة ، حيث يقول الحق سبحانه: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ).

ومما لا شك فيه أن محبة الله (عز وجل) ، ومحبة رسوله (صلى الله (عليه وسلم) هي أسمى الغايات ، وأعلى الدرجات ، وكل مقام يبلغه العبد بعد محبة الله (عز وجل) ، ومحبة رسوله (صلى الله (عليه وسلم) إنما هو من ثمرات هذه المحبة وآثارها؛ وفي هذا يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ

الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)، ولله در القائلة:

أحِبُكَ حُبَيْنِ حُبَ الهَوى وحُبًا لأنَكَ أهْل لِذَاكَ
فأما الذى هُوَ حُبُ الهَوى فَشُغْلِي بذِكْرِكَ عَمَنْ سِواكْ
وأمّا الذى أنْتَ أهلٌ لَهُ فَلَسْتُ أرى الكَوْنِ حَتى أراكْ

ولقد توعد الحق سبحانه من قَدَّم حب عَرَض الدنيا على حب الله (عز وجل)، وحب رسوله (صلى الله عليه وسلم) فقال: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}، فكفى بهذه الآية حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على وجوب محبة الله (عز وجل) ، ومحبة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وتقديمها على أي محبة أخرى.

ولقد ضرب لنا أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في حقيقة المحبة الصادقة لله (عز وجل)، ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ولم يكن ذلك جبرًا أو إكراهًا ، إذ كيف يُجبر إنسانٌ على الحب؟! بل كان ذلك مبادلة للحُبّ بالحُبّ ، فهذا سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) عندما خرج مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ليلة الهجرة ، جعل يمشي مرّة أمام النبي (صلى الله عليه وسلم) ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره، فسأله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك، فقال: (يا رسول الله أذكر الرّصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك)، فلما انتهيا إلى فم الغار قال أبو بكر (رضي الله عنه): والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك. إنه التعبير عن شدة المحبة في أجلى صورها.

وهذا سيدنا عُمَرُ (رضي الله عنه) يقول للنبيّ (صلى الله عليه وسلم) : (يَا رَسُولَ اللَّهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي) ، فقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ) ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ (رضي الله عنه) : (فَإِنَّهُ الْآنَ ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الْآنَ يَا عُمَرُ) ، أي الآن كمُل إيمانك .

وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَاللهِ إِنَّكَ لأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، وَإِنَّكَ لأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي ، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي ، وَإِنِّي لأَكُونُ فِي الْبَيْتِ ، فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيَكَ ، فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ ،عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعَتْ مَعَ النَّبِيِّينَ ، وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لا أَرَاكَ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلامُ) بِهَذِهِ الآيَةِ : {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}.

لقد كان حب الصحابة للنبي (صلى الله عليه وسلم) حبًّا صادقًا ؛ وذلك لأنه نابع من إدراكهم لنعمة الله (عز وجل) عليهم ، حيث أرسل إليهم رسوله (صلى الله عليه وسلم) ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى ، فكان الواحد منهم لا يتردد في فداء النبي (صلى الله عليه وسلم) بنفسه وأهله وماله وولده والناس أجمعين، فهذا زَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ (رضي الله عنه) يوم أن أسِرَه المشركون ، وأَخْرَجُوهُ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلوه ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فِيهِمْ أَبُو سُفْيَان بْنُ حَرْبٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ، حِينَ قُدِّمَ لِيُقْتَلَ : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ يَا زَيْدُ ، أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الآنَ بِمَكَانِكَ

يُضْرَبُ عُنُقُهُ ، وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ ، وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا.

وإن من المواقف الخالدة التي تظهر حب الصحابة للنبي (صلى الله عليه وسلم) ما كان من سعد بن الربيع (رضي الله عنه) في يوم أحد حين بعث النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) أُبيَّ بن كعب (رضي الله عنه) يبحث عنه، فوجده في أنفاسه الأخيرة، فقال له أُبيّ (رضي الله عنه): لقد بعثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأنظر ما فعلت؟ فقال سعد (رضي الله عنه) : أقرأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مني السلام وقل له يا رسول الله إني لأجد ريح الجنة، وأقرأ قومي من الأنصار السلام، وقل لهم يا قوم لا عذر لكم عند الله إن خلُص إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفيكم عين تطرف ، ثم فاضت روحه (رضي الله عنه).

وهذه أم عمارة (نُسيبة بنت كعب) تضرب لنا مثلًا آخر فريدًا في المحبة والتضحية لتعلِّم الرجال قبل النساء كيف تكون المحبة الصادقة، وكانت تحثُّ ابنها عبدالله بن زيد (رضي الله عنه) يوم أُحُدٍ قائلة له : انهَض بُنَي وضارب القوم، وقد نظر النبي (صلى الله عليه وسلم) إليها قائلا : (ومَن يُطِيق ما تُطِيقين يا أم عمارة؟ ، سليني يا أم عمارة) ، فقالت: اُدْعُ اللّهَ أَنْ نُرَافِقَك فِي الْجَنّةِ ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (اللّهُمّ اجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي فِي الْجَنّةِ) ، فقَالَتْ أم عمارة (رضي الله عنها) : إذًا لا أُبَالِي مَا أَصَابَنِي مِن الدّنْيَا.

وهذا الموقف لا يقل روعة ولا فداءً ولا تضحية عن موقف تلك المرأة الأنصارية التي أُخْبِرَت بمقتل أبيها وابنها وزوجها وأخيها يوم أُحد، حين قالوا لها: أبوك،

زوجك، أخوك، ابنك قد قُتلوا، فقالت: وما فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قالوا لها: هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه أنظر إليه، فلما رأته (صلى الله عليه وسلم) فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، كل مصيبة دونك تهون يا رسول الله .

وهَذَا شَاب منْ صَحَابَةِ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ، ضعُف أمام الخَمْرِ فَشَرِبَ مِنْهَا ، فَحُمِلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَأَمَرَ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ! مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لا تَلْعَنُوهُ! فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إلا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ! لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ، وَلَكِنْ قُولُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَه).

لقد تعلقت القلوب بحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعظيم أخلاقه، ولجميل طباعه، وحسن عشرته، ولا أدل على ذلك من موقف زيد بن حارثة (رضي الله عنه) مع النبي (صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يوم أن جاء أبوه وعمه يريدان أن يقدما الفداء لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى يعود معهما زيد، فقَالَ النبي (صلى الله عليه وسلم) لهما : (أَدْعُوهُ فَأُخَيِّرُهُ فَإِنِ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ ، وَإِنِ اخْتَارَنِي فَوَ اللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَى مَنْ اخْتَارَنِي أَحَدًا) . قَالا : قَدْ زِدْتَنَا النَّصَفَ ، وَأَحْسَنْتَ . فَدَعَاهُ النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقَالَ له: (هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلاءِ؟) ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : (مَنْ هَذَا؟)، قَالَ : أَبِي ، وَهَذَا عَمِّي . قَالَ : (فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ وَرَأَيْتَ صُحْبَتِي لَكَ ، فَاخْتَرْنِي أَوِ اخْتَرْهُمَا) . فقَالَ زَيْدٌ : مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا ، أَنْتَ مِنِّي بِمَكَانِ الأَبِ وَالْعَمِّ . فَقَالا : وَيْحَكَ يَا زَيْدُ ، أَتَخْتَارُ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ ، عَلَى أَبِيكَ وَعَمِّكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا ، مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا . فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (يَا

مَنْ حَضَرَ اشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا ابْنِي ، يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ). فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ طَابَتْ أَنْفُسُهُمَا ، ثم انْصَرَفَا ، فَدُعِيَ : زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلامِ ، ثم حُرِّم التبني . فما أحوجنا إلى أن نتأسى بهؤلاء الأفذاذ في حبهم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وافتدائهم له بأنفسهم وأموالهم وأولادهم وآبائهم وأمهاتهم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

إخوة الإسلام:

إن ادعاء حب الله (عز وجل) ، وحب نبيه (صلى الله عليه وسلم) يبقى مجرد ادعاء لا يرقى إلى الحقيقة الواقعية ما لم يكن له شواهد تدل على صدقه، وإن المرء ليعجب من أولئك الذين يتشدقون بمحبة الله ورسوله ، وأعمالهم السيئة تفضحهم، هل من يحب الله ورسوله يمكن أن يكون محتكرًا؟ هل من يحب الله ورسوله يمكن أن يكون غشاشًا؟ هل يمكن أن يكون متاجرًا بأقوات الناس ؟ .

والجواب: لا يمكن أن يكون هذا ولا ذاك، وإذا أخذنا أنموذجا واحدًا كالاحتكار والتلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الضرورية والأساسية ، وعرضناه على شريعة الله (عز وجل) لوجدنا وعيدا شديدا لمن فعل ذلك، فقد نهى الإسلام عن كل ألوان الغش والاحتكار ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) ، وقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ) وفي رواية : (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الله ، وَالله بَرِئٌ مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ ظَلَّ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعًا ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ الله).

إن المحبة الحقيقة هي التزام الأمر ، واجتناب النهي ، والوقوف عند الحد، فشتان بين مدعٍ أطفأ الله (عز وجل) بصيرته، وأعمى قلبه، فحمل لواء الشر والعنف ، وجعل القتل والتخريب والإفساد منهجًا له، وبين محب حقيقي لله ورسوله ، متبع صادق يدافع عن سنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، ويصحح كل ما ينسب إليها زورًا وبهتانًا ، ولله در القائل:

تَعصي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ   هَذا لَعمْري في القِياسِ بَديعُ
لَو كانَ حُبُّكَ صادِقاً لَأَطَعتَهُ   إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ

ويقول الآخر:

من يدّعي حُبّ النبي ولم يُفد   من هديهِ فسَفاهةٌ وهُراءُ
فالحُب أوّلُ شرطِهِ وفُروضهِ   إنْ كان صِدقًا طاعةٌ ووفاءُ

لا شك أن حبّ الله (عز وجل) ، وحبّ رسوله (صلى الله عليه وسلم) هو منهج وسلوك تظهر آثاره في أفعال المسلم ، وأقواله ، ومعاملاته مع الناس جميعًا ، وليس ادعاءً باللسان ، أو تظاهرًا بالفعل ، فالمحب الصادق هو من ينشر بين الناس الأمن والأمان ، والسلم والسلام، والرحمة والرأفة.

ولقد جعل الله (عز وجل) طاعة رسوله (صلى الله عليه وسلم) واتباع هديه، ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به (صلى الله عليه وسلم) من علامات محبة العبد لربه سبحانه؛ حيث يقول تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، ويقول سبحانه: {مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} ، ويقول سبحانه : {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} .

اللهم إنا نسألك أن تلهمنا حبك ، وحب نبيك (صلى الله عليه وسلم) ، وحب من يحب الله ورسوله ، وحب كل عمل يقربنا إلى حب الله ورسوله.